﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ١٨٤﴾ [آل عمران: 183 - 184]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الـعـلاقـة بين افتراء اليهود من قبل ومن بعد، وخزي الله لهم بما جنت أيديهم

لَمَّا أخبَرَنا بيانُ اللهِ عَنْ فِرْية اليهود - أخزاهمُ الله - في حقِّ اللهِ تعالى، وتوعُّدِ اللهِ لهم بكتابةِ وحِفظِ قبائحِ أقوالِهم وأعمالِهم، وبما قدَّمتهُ أنفُسُهم بمُقْتَضَى العَدالةِ الإلهيَّة، جاءَنا بيانُ اللهِ هنا ليُخبِرَنا عَنْ فِريةٍ أُخرى لليهود، وهي أنَّ اللهَ أَوْصاهم أن لا يُؤمنوا لرسول، حتَّى يأتيَهم بقُربانٍ تأكُلُه النَّارُ، وإلَّا فلَن يُؤمِنواْ به، طاعةً لربِّهم، وقد أتتهُمُ الرُّسلُ بالبيِّنات، وبمَا قالواْ، ومع ذلك قتلوهم ظُلمًا وعُدوانًا، وشأنُ تكذيبِهم لرسولِ اللهِ ﷺ، هو شأنُهم مع الرُّسلِ جميعِهم قبلَه، "فإنّ زكريّا ويحيى وغيرهم من الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، قد جاؤُوكم بما قلتم مع معجزات أُخَرَ، فما لكم لم تؤمنواْ لهم حتّى اجترأتم على قتلهم"؟!(1).

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عَهِدَ﴾: العَهْدُ: حفظُ الشَّيءِ ومراعاتُه، حالًا بعدَ حال، وسُمِّيَ المَوثِقُ الَّذي يَلزَمُ مراعاتُه عَهْدًا(2)، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤﴾ [الإسراء: 34]، أي: أَوْفُواْ بحفظِ الأيمان.

(1) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 2/122.
(2) المُنّاويّ، التّوقيف، ص: 248.

وعَهْدُ اللّهِ تارَةً يكونُ بما ركزَه في عقولِنا، وتارةً يكونُ بما أمرَنا به بالكتابِ والسُّنَّة، وتارةً بما نَلتزمُه، وليس بلازمٍ في الشَّرع، كالنُّذُورِ وما يجري مَجْراها، وعلى هذا قولُه تعالى: ﴿*وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ [التّوبة: 75]، وقولُه سُبحانه: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمْۚ﴾ [البقرة: 100]. والمُعاهَدُ في عُرفِ الشَّرعِ يختصُّ بمن يَدخلُ من الكُفَّار في عهدِ المسلمين، وكذلكَ ذو العَهْد، وباعتبار الحفظِ؛ قيل للوثيقة بين المتعاقِدَيْن: عُهْدَةٌ، وقولُهم: في هذا الأمر عُهْدةٌ، لما أُمِرَ به أن يُستوثَق منه، ويُقالُ: تعهَّد الشَّيءَ: تفقَّدَه[1].

2) ﴿بِقُرْبَانٍ﴾: القُرْبانُ: ما يُتقرَّبُ به إلى اللّه، وأصلُه مِنَ القُرْب؛ يقال: قَرُبْتُ مِنْه أَقْرُبُ، وقرَّبتُه أُقَرِّبُه قُرْبًا وقُرْبانًا، وصارَ القُربانُ في التَّعارُفِ اسْمًا للنَّسيكة، الَّتي هي الذَّبيحة، وجمعُه قرَابينُ، قالَ تعالى: ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ [المائدة: 27]. ومِنْ قولهم: قُرْبانُ المَلِكِ: لِمَن يَتقرَّبُ بخدمتِه إلى الملِك، ويُستعمَلُ ذلكَ للواحدِ والجمع[2]، وقرابين الملك: خاصّته الواحد قربان، قال الشّاعر:

وَمَا لِي لَا أُحِبُّهُمُ وَمِنْهُمْ *** قَرَابِينُ الْإِلَهِ بَنُو قُصَيٍّ[3]

3) ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالآيات الواضحات والمعجزات الظّاهرات[4]، والمعنى" أنّ أنبياءهم جاؤوهم بالبيّنات الكثيرة الّتي أوجبت عليهم التّصديق[5]، و(البيّنات) المراد منها الحجّة المبيّنة المثبتة لرسالة الرّسل[6]، والبيّنات: الدّلائل على الصّدق[7]، وقوله: ﴿جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: الحجج العقليّة، والبراهين النّقليّة[8]، والمعنى في الآية: "وقد سبق أن أرسلت لكم الأنبياء الكثر ومعهم المعجزات، وأتوكم بالأدلّة الواضحة الدّالة على صدقهم، فلم كذّبتموهم؟"[9]، وفي القرآن قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى

(1) الرّاغب، المفردات، ص: 591 - 592، وابن منظور، لسان العرب: (عَهِدَ).
(2) الرّاغب، المفردات، ص: 663 - 664، وابن منظور، لسان العرب: (قَرُبَ).
(3) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (قَرُبَ).
(4) محمّد بن الخطيب، أوضح التّفاسير، ص: 86.
(5) الأبياري، الموسوعة القرآنيّة: 9/281.
(6) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/281.
(7) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنوير: 4/186.
(8) السّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 159.
(9) الزّحيلّي، التّفسير الوسيط: 1/267.

لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ﴾ [البقرة: 185]. ويُقالُ: آيةٌ مُبيِّنَةٌ؛ اعتبارًا بِمَن بيَّنها، وآيةٌ مُبَيَّنةٌ؛ اعْتبارًا بِنَفْسِها، وآياتٌ مُبيِّناتٌ ومُبَيَّنات[1].

4) ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾: زبرت الكتاب زبرًا كتبته، فهو زبورٌ، فعولٌ بمعنى مفعولٌ، مثل: رسولٌ، وجمعه زُبُرٌ بضمّتين[2]، يُقالُ له: زَبُورٌ، وخُصَّ الزَّبورُ بالكتابِ المُنزَّلِ على داوُدَ ﷺ، قالَ تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النِّساء: 163][3]. وزِبْرٌ: مَصْدرٌ سُمِّيَ به كالكِتاب، ثمَّ جُمِعَ على زُبُر، كما جُمِعَ كتابٌ على كُتُب، وقيل: بل الزَّبور كُلُّ كتابٍ يَصعُبُ الوقوفُ عليه من الكُتُبِ الإلهيَّة، قالَ تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الشُّعراء: 196]. وقيل: الزَّبورُ: اسمٌ للكتابِ المقصورِ على الحِكَم العقليَّةِ، دونَ الأحكام الشَّرعيّة، والكتابُ: لما يتضمَّنُ الأحكامَ والحِكَمَ، ويَدُلُّ على ذلكَ أنَّ زَبورَ داوودَ ﷺ لا يتضمَّنُ شيئًا من الأحكام[4].

5) ﴿ٱلْمُنِيرِ﴾: أي: ذا نور، وأصلُ كلمة (مُنيرًا) مِنْ قولِنا: (أنارَ) الشَّيْءَ و(اسْتَنارَ) بمعنًى؛ أي: أضاءَ، و(التَّنْويرُ) الإنارةُ، وهو أيضًا الإسفارُ، [5]. و(النُّورُ): الضَّوْءُ المنتَشِرُ الَّذي يُعينُ على الإبْصار، وذلكَ ضَرْبان: دُنيَويٌّ، وأُخْرَويٌّ، فالدُّنيويُّ: ضَرْبان: ضربٌ معقولٌ بِعَيْنِ البَصيرة، وهو ما انْتشرَ مِنَ الأمورِ الإلهيَّة، كنورِ العَقْل، ونورِ القرآن، وضربٌ محسوسٌ بعَيْنِ البَصَر، وهو ما انْتشرَ مِنَ الأجسام النَّيِّرة كالقمَرَيْن، والنُّجوم النَّيِّرات. فمِن النُّور الإلهيِّ؛ قولُه تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة: 15]، ومِنَ المحسُوسِ الَّذي بعَيْنِ البصيرة نحو قولِه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: 5]. وتخصيصُ الشَّمسِ بالضَّوْء، والقمرِ بالنُّور، من حيثُ إنَّ الضَّوْءَ أخصُّ من النُّور[6].. ومن النُّورِ الأُخْرويِّ قولُه تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: 12]. ويُقال: أنارَ اللّٰه كذا، ونوَّرَه، وسَمَّى اللّٰه تعالى نفسَه نورًا، من حيثُ إنَّه هو المُنوِّر، قالَ ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النُّور: 35]، وتسميتُه تعالى بذلك لمبالغةِ فعلِه[7].

(1) الرّاغب، المفردات، ص: 156 - 158، وابن منظور، اللّسان: (بَيَنَ).
(2) الرّاغب، المفردات، والفيّوميّ، المصباح المنير: (زَبَرَ).
(3) نظر: الرّاغب، المفردات، ص: 377، وابن منظور، اللّسان: (زَبَرَ).
(4) الرّاغب، المفردات، ص: 377.
(5) الفيروزآبادي، القاموس: (نَوَرَ).
(6) الزَّبيدي، تاج العروس: (نور)
(7) الرّاغب، المفردات، ص: 827 - 828.

❁ المَعْنَى الإجْمَالِيُّ:

إخبار النّبيّ أنّ الكفر متأصّل في اليهود بمن جاؤوهم بالمعجزات فقتلوهم

يُخبرُ تعالى عن كُفرِهم برسالة محمّدٍ ﷺ، بدعوى أنَّه لم يأتهمْ بقُربانٍ تأكلُه النَّار،، وقد عُلِمَ أنّ كلَّ رسولٍ كان يُؤيِّدُه الله بمُعجزاتٍ تدُلُّ على صدقِه، ولم يقصُرْها على ما زَعَموه، ومع هذا، فقد قَتلوا أنبياءَ جاؤوهم بما قالوا، ولذلك ثبّت اللّه تعالى قلب رسوله ﷺ وسَلَّاه، فأعلمه بأنَّ رُسُلًا قبلَه قد كذَّبَهُمُ كفرة أقوامهم، مع أنَّهم أتَوْهم بالحُجَجِ العقليَّةِ، والأدلَّةِ النَّقليَّة، وبالكُتُبِ المُنَزَّلةِ بوحي اللّهِ تعالى، المتضمِّنةِ للأحكامِ الشَّرعيّة، والمحاسِنِ الخُلُقيَّة، الَّتي هي نورٌ لهم في الدُّنيا والآخرةِ إنِ اهتدَوْا بها، وسَلَكوا طريقَها[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

أثرُ البَدَل في تَجْليةِ المعنَى، وتأكيدِه:

أفادَ بدلُ جملةٍ لاحقةٍ مِنْ جُملةٍ سابقة، تأكيدَ إفْكِ اليهودِ وعَداوتِهم للهِ ولرُسُلِه ولعبادِه

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ﴾ هو في موضعِ جرٍّ بدلًا من قولِه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ﴾ ويجوزُ أنْ يكونَ نَصْبًا بإضمارِ: (أعْني)، ورَفْعًا على إضمارِ (هم)[2]، فهيَ شنيعةٌ لحقَتْها شنيعةٌ أُخرى، لِتُدَلِّلَ أنَّ اليهودَ قدْ مَرَدُوا على الإفْكِ وتَزويرِ الحقائق، يَكذبونَ على اللّهِ ﷻ، ويتَّهمونَ اللّه ﷻ، ويَقتُلونَ أنبياءَ اللّهِ، وفي هذا مافيه من الدَّعوة المؤكّدة لعدم تصديقِهم في أيِّ قولٍ أوْ فعل، أو تبريرٍ أوْ إجراءٍ، أوْ غيرِ ذلك، فإنَّ مَنْ يتَّهمُ اللّه ﷻ لا يُبرِّئُ النَّاس، ومَنْ يكذبُ على الخالقِ لا يَصدُقُ مع المخلُوقين، ومَنْ يقتُلُ الأنبياءَ لا يَكُفُّ يدَه عن قتلِ البريئين.

بلاغة التضمين في جملة العهد:

وقُدِّر تركيب: ﴿أَلَّا نُؤۡمِنَ﴾ من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ﴾ على "أن يكون مفعولا به على تضمين عهد

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/382 - 383، والسّعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 120.
(2) العكبري، التبيان: 1/161.

معنى ألزم، فكأنه ألزمنا أن لا نؤمن"[1]، على إرادة جِماع المعنيين، أي: عَهِدَ إلينا مُلزمين، وهو أقوى من إعطاء معنى واحد؛ إذ فيه ضربٌ من التوسع في المعنى مع غاية الإيجاز، ومؤدّاهُ أنّ للفعل دلالةُ أصلِ معناه، وتطلّبه فعلاً آخر يجعل للمعادلة وجهان متكاملان؛ إذ يؤدي الفعلُ أصلَ معناه بالتصريح به، وفعلا آخر يطلبه بالتضمين.

فـي التضمين وجـه توسّع في المعنى مع غاية الإيجاز

دلالة التّعبير بالمصدر (قربان)، ووصفه:

وصيغة (قُربان)؛ اسمُ جنس، ومصدرٌ كالعدوان والكفران والمصدر أقوى في الدلالة[2]، أي: قربانًا عظيمًا نقربه لله تعالى، متّصفاً بأن ﴿تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۖ﴾ عند تقريبه له وفي ذلك أعظم بيان؛ لأنهم ما أرادوا - بقولهم: (إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ) حيث طلب الصدقة - إلا التشكيك حيث كان التقرّب إلى الله بالمال من دينهم الذي يتقربون إلى الله به، بل وادّعوا أنه لا يصحّ دين بغيره، فما كان إلا أنْ يأمرَ سبحانه بنقض هذا التشكيك بقوله: ﴿قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ﴾ فضلاً عن رسول[3].

غـايـة اليـهـود في كـلّ زمـان الـتـشـكـيـك، والـمـمـاطـلـة، والتكذيب

بلاغة المجاز والاستعارة في أكل النّار:

وإسناد الأكل إلى النّار في قوله: ﴿بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۖ﴾ "مجازٌ واستعارةٌ عن إذهاب الشيء وإفنائه؛ إذ حقيقة الأكل إنما توجد في الحيوان المتغذي، والقربان وأكل النار معجز للنبي يوجب الإيمان به، فهو وسائر المعجزات سواء، ولله أن يعين من الآيات ما شاء لأنبيائه، وهذا نظير ما يقترحون من الآيات على سبيل التبكيت والتعجيز، وقد أخبر تعالى أنه لو نزل ما اقترحوه لما آمنوا"[4].

وجـه المـجـاز والاستـعـارة في إسـنـاد الأكـل إلى النار إذهابُ الشيء وإفناؤه، والـغـرض الـتـبـكـيـتُ والتعجيزُ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/458.
(2) الرازي، مفاتيح الغيب: 11/338.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 5/142.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/458.

فائدة جملة الأمر:

معنى الأمر التّبكيتُ لليهودِ، والإظهارُ لِكَذِبهم

قولُه: ﴿قُلْ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ خطابٌ لرسولِ اللّهِ ﷺ، ومعناه التّبكيتُ لليهودِ، والإظهارُ لِكَذِبهم.

نكتة إثبات شبه الجملة ﴿مِّن قَبْلِى﴾:

التعبير بشبه الجملة لاستغراق ما أغفلوا من ذكر الزمن الماضي

ولما كانت مدتهم لم تستغرق الزمان الماضي أثبت الجارَّ فقال ﴿مِّن قَبْلِى﴾ كزكريا وابنه يحيى وعيسى [1] عليهم السلام.

براعةُ التّأكيدِ في جلاء المعنَى:

أفاد أسلوبُ التّأكيدِ إظهار منح الله تعالى بتكرار وجوه هداياته بتعاقب الرّسل

في قوله تعالى: ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾ أكّد تعالى تكرار هداياته بـ ﴿قَدْ﴾: الدّال على التحقيق، وبتنكير ﴿رُسُلٌ﴾ المُفيد للكَثْرة في العَدَدِ مع عُلُوِّ القَدْرِ، وعظيم المقدارِ؛ ليكون قولُه: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ﴾ تأكيدًا لمجيءِ الرُّسُلِ بـ ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمعجزاتِ الواضحاتِ، وبما قالوه بِعَينِه مِنَ القُربانِ الَّذي تأكلُه النَّار[2].

سرُّ التَّعبير بالموصول:

عُدِلَ إلى الموصولِ؛ للاخْتِصار، وتَسجيلًا عليهم في نِسْبةِ ذلكَ لهم

وإنّما قالَ: ﴿وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾ حيثُ عُدِلَ إلى الموصولِ؛ للاخْتِصار، وتَسجيلًا عليهم في نِسْبةِ ذلكَ لهم، ونظيرُه قولُه تعالى: ﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧﴾ إلى قولِه: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ [مريم: 77 - 80] أيْ نَرِثُ مالَه وولَدَه[3].

بلاغة أسلوبُ التَّسليم:

هذا الضَّرْبُ من الجَدَلِ في الآية الكريمة مَبنيٌّ على التَّسليم؛ أيْ: إذا سَلَّمنا ذلك فليس امْتناعُكُم مِن اتِّباع الإسلامِ لأَجْلِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 5/142.
(2) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 1/614.
(3) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنْوير: 4/185.

انْتظارِ هذه المُعجزة، فإنَّكم قد كذَّبتُمُ الرُّسُلَ الَّذين جاؤوكُم بها وقَتلتُموهم، ولا يَخفَى أنَّ التَّسليمَ يأتي على مَذْهبِ الخَصْم، إذْ لا شكَّ أنَّ بني إسرائيلَ قَتلُوا أنبياءَ منهم بعدَ أنْ آمنوا بهم، مِثْلَ: زَكريَّا، ويَحْيى، وأَشْعِيَاءَ، وأَرْمِيَاءَ ﷺ، فالإيمانُ بهم أَوَّل الأمرِ، يَستلزِمُ أنَّهم جاؤوا بالقُربانِ تأكلُه النَّارُ على قولِهم، وقَتْلُهُم آخِرًا يَسْتلزِمُ أنَّ عدمَ الثَّباتِ على الإيمانِ بالأنبياءِ عادةٌ قديمةٌ خَبيثةٌ في اليهود، وأنَّهم إنَّما يَتَّبعون أهواءَهم، فلا عَجَبَ أنْ يأتيَ خَلَفُهُم بِمِثْلِ ما أَتى به سَلَفُهُم.

أفادَ أسلوبُ التَّسليمِ، بيانَ كَذِبِ اليَهودِ في ادِّعاءاتِهم، وشَناعةِ أعمالِهم

بلاغة الاستفهام في الآية:

والاستفهام في قوله: ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ استفهام توبيخي يتعدى حدود الإنكار إلى معاني التكذيب، والتوبيخ، والتغليظ، والتّعجيب من شأنهم؛ فقد أنكر عليهم دعواهم، وأظهر كذبهم، ووبّخهم على هذا الافتراء، وعجّبَ الناسَ مِن حالهم[1].

غرض الاستفهام التوبيخ

إيجاز الحذف في الفاصلة:

وقولُه: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ظاهرٌ في أنَّ ما زَعَموه مِنَ العَهْدِ لهم بذلكَ؛ كَذِبٌ، ومَعاذِيرُ باطِلة[2]، وجواب الشرط هنا محذوف لدلالة ما قبله عليه، والتقدير: إن كنتم صادقين فأخبروني لم قتلتموهم؟.

حذف جواب الشرط لدلالة ما قبله عليه

الشَّرطُ، وأثرُه في تجليةِ المعنَى:

قولُه تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾: شُروعٌ في تَسْليةِ رسولِ الله ﷺ إثْرَ ما أُوحَى إليه ممَّا يُحزِنُه ﷺ من مَقالاتِ الكَفَرةِ مِنَ المشركينَ واليهود[3]، والتسلية ههنا تعليلٌ لجواب الشرطِ، أي: فتَسَلَّ فقد كُذب[4].

أفادَ الشَّرطُ تسليةَ رسولِ الله ﷺ فيما يُحزِنُه من شناعةِ اليهود وإجرامِهم

(1) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 1/199.
(2) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنوير: 4/186.
(3) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 1/614.
(4) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 1/614.

دلالة الفاء في جملة الشرط:

الفاءُ في قوله: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ﴾ دليلُ الجواب؛ لأنَّه عِلَّتُه، والتَّقديرُ: فإنْ كذَّبوكَ فلا عَجَبَ أوْ فلا تحزَنْ؛ لأنَّ هذه سُنَّةٌ قديمةٌ في الأُمَمِ مع الرُّسُلِ مِثْلِك، وليس ذلكَ لِنَقْصٍ فيما جِئْتَ به[1].

الفاء في جملة جواب الشرط علّة الجواب ودليله

نكتة بناء فعل الكذب للمفعول:

وبني الفعل للمفعول ﴿كُذِّبَ﴾؛ لأنه لم يقتصر في تكذيب الرسل على تكذيب اليهود وحدهم لأنبيائهم، بل نبه على أن من عادة اليهود وغيرهم من الأمم تكذيب الأنبياء، فكان المعنى: فقد كَذَّبَتْ أمم من اليهود وغيرهم الرسل[2].

في بناء الفعل (كُذّب) للمفعول شمولٌ لليهود وغيرهم بالتكذيب

براعة إسقاط التاء من لفظ الكذب:

ولما كان السياق لإثبات مبالغتهم في الغلظة، والجفاء، والكفر، وعدم الوفاء وكانت السورة سورة التوحيد، والرسل متفقون عليه، وقد أتى كل منهم فيه بأنهى البيان وأزال كل لَبْس أسقط تاء التأنيث، فقال: ﴿كُذِّبَ رُسُلٌ﴾؛ لأنها ربما دلت على نوع ضعف[3].

تذكير فعل الكذب لدفع توهم الضعف، وإثبات مبالغتهم في الغلظة، والجفاء، والكفر، وعدم الوفاء

سرّ تنكير لفظ ﴿رُسُلٌ﴾:

ونكّر رسل لكثرتهم وشياعهم[4]، وفي ذلك إشارةٌ إلى تماديهم في الإنكار، والتشكيك، والمعارضة.

تنكير لفظ الرسل دليلُ كثرتهم، وشياعهم

نكتة إثبات الجارّ: ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾:

﴿مِّن﴾ في قوله: ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ متعلقةٌ بـ ﴿كُذِّبَ﴾ أو بمحذوفٍ صفةٍ لـ ﴿رُسُلٌ﴾ أي كائنةٌ من قبلك[5]، وأثبتَ الجارّ

(1) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنْوير: 4/186.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/459.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 5/143 - 144.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/459.
(5) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 1/614.

فقال: ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾؛ لكون تسلية الإنسان بمن قاربه في الزمان أشد، أي: فلك فيهم مسلاة وبهم أسوة[1].

إثبات الجارّ للتسلية بالمقارب في الزمان

فائدة العطف في الآية:

والعطفُ في قوله: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ منظورٌ فيه إلى التَّوزيع، فبعضُ الرُّسُلِ جاء بالزُّبُر، وبعضُهم بالكتابِ المنير، وكُلُّهم جاءَ بالبيِّنات[2].

فائدة العطف حسن التّوزيع، وبراعة التقسيم

دلالة الباء في ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾:

والباء في ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ تحتمل الحال والتعدية، أي: جاؤوا أممهم مصحوبين بالبينات، أو جاؤوا البينات[3].

تحتمل الباء الحاليّة، والتعدية

توجيه قراءة إعادة الباء في ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾:

وقولُه: ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾ فيه قراءتان: الأُولى: ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾ بغير باء، اكتفاءً بواوِ العَطْف، والثَّانيةُ: (وبالزُّبُر) بالباء[4]، وفي إعادة الجارّ وجه توكيدٍ، ودِلالةٌ على أنَّها مغايرةٌ بالذاتِ للبيِّنات[5].

وجه إعادة الجارّ، التوكيدُ، والدلالة على أنَّ الزُّبر مغايرةٌ بالذاتِ للبيِّنات

وجه التفريق بين (الزُّبُرِ) و(الْكِتَابِ):

وفُرِّقَ بين ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾ و﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ في قوله: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾، فـ"الزبور هو الكتاب؛ لأنّ الزبور هو الكتاب المقصور على الحكمة العقلية دون الأحكام الشرعيّة، والكتاب في تعارف القرآن ما يتضمن الأحكام، ولهذا جاء في عامة القرآن كتابًا وحكمة، ففصل بينهما لهذا، واستعمل الكتابة في معنى الإيجاب، فعلى هذا اشتقاقه من زبرت الشيء، أي: حكمتُه، وقيل: الزبور اسم

الزبور هو الكتاب المقصور على الحكمة العقلية دون الأحكام الشرعيّة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 5/144.
(2) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنْوير: 4/186.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/459.
(4) الأولى: قراءة الجمهور، والثّانية قراءة ابن عامر، ينظر: ابن الجزري، النشر: 2/245.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/459، وأبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 1/615.

لما أجمل ولم يفصَّل، والكتاب يُقال لما قد فُصِّل"[1]، فسمي بالزبور؛ لأنه مكتوب، إذ يقال: زبره كتبه[2].

سُمّي زبورًا لكثرة ما فيه من الزواجر والمواعظ

سُمّي زبورًا؛ لكونه زاجرًا من زبَرَهُ زجَرَهُ، وبه سُمّي كتاب داود زبورا لكثرة ما فيه من الزواجر والمواعظ، أو لأحكامه، فالزبر: الأحكام، وقال الزجاج: الزبور كل كتاب فيه حكمة، ويحتمل أن يراد بقوله: والزبر الزواجر من غير أن يراد به الكتب، أي: جاؤوا بالمعجزات الواضحة والتخويفات والكتب النيرة[3].

علّة الجمع بين الزبور والكتب:

وجه الجمع بين اللفظين التأكيد، أو اختلاف معنييهما

وجمع بين اللفظين على سبيل التأكيد، أو لاختلاف معنييهما، مع أن المراد واحد، ولكن اختلف معنياهما من حيث الصفة، وقيل: الكتاب هنا جنس للتوراة والإنجيل وغيرهما، ويحتمل أن يراد بقوله: والزبر الزواجر من غير أن يراد به الكتب، أي: جاؤوا بالمعجزات الواضحة والتخويفات والكتب النيرة[4].

دلالة التّعريف في الكتاب:

أفادَ التَّعريفُ بيانَ كُتُبِ الشَّرائعِ بعمومِها وخصوصِها

إنْ كانَ التَّعريفُ في قولُه تعالى: ﴿وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾ للجِنْس؛ فهو كُتُبُ الشَّرائع، مِثْلُ التَّوراةِ والإنجيلِ والزَّبور، وإنْ كانَ التَّعريفُ للعَهْدِ؛ فهو التَّوراة.

بيانُ المجاز في وصف المنير:

المراد بالمنير مجازٌ بيانُه: وصفُ الكتاب بالإبانة

ووصفُ الكتاب بالمُنير في قوله: ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾ مجازٌ بمعنَى المبَيِّن؛ كقولِه تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ﴾ [المائدة: 44][5].

(1) الراغب، تفسير الراغب: 3/1022 - 1023.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/459.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/459.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/459.
(5) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنْوير: 4/186.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

العَهْد والميثاق والعَقْد:

تقدَّم أنَّ من معاني العَهْد: حفظُ الشَّيء، ومراعاتُه حالًا بعدَ حال، ويُنظَرُ في العهدِ وجودُ طرَفَيْنِ متعاقِدَيْن، وبهذا تُسمَّى الوثيقةُ عُهْدَة، أمّا الميثاقُ فهو توكيدُ العَهْد، مِنْ قولكَ: أَوْثقتُ الشَّيءَ، إذا أَحْكمتَ شَدَّه، والميثاقُ يكونُ من أحدِ الطَّرَفينِ المتعاهِدَيْن[1]، والعَقْدُ أبلغُ مِنَ العهدِ، تقولُ: عَهِدْتُ إلى فلانٍ بكذا؛ أي: أَلْزمتُه إيَّاه، وعَقَدتُ عليه، وعاقدتُه: أَلزمتُه باسْتيثاق، وتقولُ: عاهدَ العبدُ ربَّه، ولا تقولُ: عاقدَ العبدُ ربَّه؛ إذْ لا يجوزُ أنْ يُقالَ: اسْتوثقَ من ربِّه، قالَ تعالى: ﴿أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ﴾ [المائدة: 1]، وهي ما يتعاقدُ عليه اثْنان، وما يُعاهِدُ العبدُ ربَّه عليه، أو يُعاهِدُه ربُّه على لسانِ نبيِّه ﷺ [2]، وبتَمحيصِ ما تقدّم من معاني الكلماتِ: (العهدُ) و(الميثاقُ) و(العَقْدُ) نجدُ أنَّ استخدامَ البيانِ الإلهيِّ للفعل (عَهِدَ) أوْفَى بالمرادِ؛ فاليهودُ أَلْزَموا أنفُسَهم ما لم يُلزمْهُمُ اللهُ به، في عدمِ إيمانِهم برسولٍ حتَّى يأتيَهم بقُربانٍ تأكلُه النَّار، وإنَّما كان ذلك ادِّعاءً كاذبًا منهم، فلا اعْتبارَ لعهدٍ همْ أَنْشؤوه من ذاتِ أنفُسِهم، وليس فيه طَرَفٌ آخرُ، كما يقتضيهِ معنَى العَهْد، بل هو عهد مزيّف، وواقع من طرَفٍ واحدٍ، وعليه فلا يَصِحُّ أنْ يُقال: عاقَدوا ربَّهم، أوْ أخذواْ الميثاقَ من ربِّهم، أوْ أخذَ اللهُ عليهمُ الميثاق، إذْ إنَّ الميثاقَ يكونُ من أحدِ طرفي التَّعاقُد، وفيه توكيدٌ للعَهْد، وليس الأمرُ هنا كذلك، ولذلك كانَ استعمال لفظ (العقد) أبلغَ مِنَ لفظ (العَهْد)، واللهُ يتنزّه أن يُعاقِدَ أحدًا من خَلْقِه، وليس ثَمَّةَ عقدٌ أصلًا، بذلك كلّه، ظهرَ لنا جليًّا أنَّ اخْتيارَ البيانِ الإلهيِّ للفعلِ (عَهِدَ)، أَلْيقُ بالسِّياق معَ اعْتبارِ المُلابساتِ الَّتي شابتْ ذاكَ العَهْد.

قُربَان ونَسِيكة وذِبْح:

تبيَّنَ لنا ما تَعنيه كلمةُ (قُربان)، وهو ما يُتقرَّبُ به إلى اللهِ، وأصلُه مِنَ القُرْب؛ وقد استعملها القرآن في قصّة ابني آدم فقال: ﴿*وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ﴾ [المائدة: 27]، أمَّا كلمةُ (نَسِيكة) فهي مُختصَّةٌ

(1) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 525.

(2) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 365، والجرجانّي، التّعريفات، ص: 158، و165.

بالذَّبيحة، كما في قولِه تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: 196][1]، والذِّبحُ: المَذبوحُ، قالَ تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصَّافَّات: 107][2]، وقولُه: ﴿بِقُرْبَانٍ﴾ وإنْ كان معناه النَّسيكة أوِ الذّبيحة، لكنَّه ليس على عمومِهما في أيِّ نيَّةٍ يُؤدَّيان، وفي أيِّ أمرٍ يكونان؛ بل بنيَّة التَّقرُّبِ إلى اللهِ، الَّذي يُومِىء إليها سياقُ الآية الكريمة، بغضِّ النَّظرِ عن مصداقيَّةِ اليهود في هذه القُربى، والَّتي هي غيرُ متحقِّقةٍ من طَرَفِهم، ولذلكَ كانَ اسْتخدامُ السِّياقِ القرآنيِّ لكلمةِ (قُربان) أوْفى بالمُراد.

البيِّنات والبَراهين والدّلالات والمُعْجِزات:

سَبقَ تفصيل معنَى البيِّنات، وهي الآيات الواضحات، والمعجزات الظّاهرات، الّتي جاء بها الأنبياء لأقوامهم، بطلب أو بغير طلب، واللّه يؤيّد أنبياءه بالمعجزات الخوارق، حتّى يثبت للجاحدين صدق قيّوميّته في كونه، أمَّا البراهينُ، فهي جمعُ بُرْهان، وهو لا يكونُ إلَّا قولًا يَشهدُ بصحَّة الشَّيء ووجوده، والبرهانُ: هو الحُجَّةُ القاطعةُ المفيدةُ للعلم[3]، والدَّلالاتُ: جمعُ دَلالة: بفتح الدَّال وكسرِها وضمِّها، دَلَّه عليه، فانْدلَّ: سَدَّدهُ إليه[4]، والدَّلالةُ تكونُ قولًا؛ تقولُ: دَلالَتي على صحَّة مذهبي كذا، فتأتي بقولٍ تحتجُّ به على صحَّةِ مذهبِك[5]، والمُعجِزاتُ: جمعُ مُعجِزَة، والمُعجزةُ في الاصْطلاح: هي أمر خارق للعادة، يجريه اللّه على يد من يختاره لنبوته، ليدل على صدقه وصحة رسالته، وممَّا تقدَّم تفصيلُه، يظهرُ أنَّ اسْتخدامَ بيانِ اللهِ لكلمة (البيِّنات) أوْفَى بالغرضِ المرادِ من سياقِ النَّصِّ القرآنيِّ، في حديثه عن شناعة اليهود في أعمالهم وكذبهم في أقوالِهم، فيريدُ اللّهُ ﷻ أن يُقيمَ الحُجَّة عليهم تِلْوَ الحُجَّة، فقد كشفَ بيانُ اللهِ عُوارَهم، وتَبلُّدَ عقولِهم، وخَواءَ قلوبِهم من الإيمان، وهذا الكشفُ هو مرتكز دَلالاتِ كلمةِ (البيِّنات)، فقد جمعتْ هذه الكلمةُ اعْتبارَيْن، الأوّلُ: بمَن بيَّنَها بعدَ أنْ أَوْجدَها وهو اللّهُ ﷻ، والثّاني: بنفسِها وبما تُوحي إليه من مقاصدَ وغايات؛ لِتَحْمل النَّاسَ على

(1) الرّاغب، المفردات، ص: 802.
(2) الراغب، المفردات، ص: 326.
(3) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 97.
(4) الفيروزآبادي، القاموس المحيط: (دَلَلَ).
(5) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 97.

الإيمانِ بمن أوجدَها، ودَعا إليها وبها، وهو اللهُ ﷻ، فهي تُفيدُ عمومَ الاعْتبارات، وعمومَ الأقوالِ والأفعالِ، الَّتي تُوجِّهُ العبادَ للإيمانِ بخالقِهم، عن بَصِيرةٍ وبيِّنة؛ كما يفيده قولِه تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: 108].

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس، سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 6 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-58-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 6 : سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-58-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2475776 بتاريخ 2023/03/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»